

هَذَا الشَّارِعُ الْمُمْتَدُّ مِنْ شَوَارِعِ مَرْسِيلِيَا يَعْرِفُ عَائِدَةً". إِنَّهُ مَعْبَرُهَا الْيَوْمِيُّ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ. وَجَهُ عَرَبِيٍّ مُسْتَدِيرٍ، لَكِنَّ لِعَائِدَةٍ سِرًّا يُحِيرُ أَصْدِقَاءَهَا إِنَّهَا تَتْرُكُهُمْ أَحْيَانًا لِتَنْتَجِي رُكْنَا مِنَ السَّاحَةِ فَتُخْرِجُ مِنْ جَيْبِهَا حَافِظَةً صَغِيرَةً تَنْظُرُ إِلَيْهَا مَالِيًّا، لَمْ يَكُنْ أَمْرُ الْحَافِظَةِ فِي الْبِدَايَةِ يُثِيرُ أَكْثَرَ مِنْ تَسَاوُلَاتِ بَعْضِ الْأَصْدِقَاءِ وَهَمَسَاتِ بَعْضِهِمُ الْآخَرَ، وَقَدْ اخْتَطَفَتْ عَائِدَةً مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهَا وَمَلَكَتْ عَلَيْهَا مُعْظَمَ وَقْتِهَا؟ دَخَلَتْ عَائِدَةُ ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ الْوَقْتِ وَاتَّجَهَتْ إِلَى مَقْعِدِهَا وَسَطَ وَشُوشَاتِ الْأَطْفَالِ وَهَمَسَاتِهِمْ، اقْتَرَبَ السَّيِّدُ جَاكُ مِنْهَا وَقَدْ لَاحَظَ عِلَامَاتِ الْخَجَلِ مَرْسُومَةً عَلَى وَجْهِهَا، رَبَّتَ عَلَى كَتِفِهَا سَائِلًا: "مَا يَشْغُلُ بَالَ فَرَاشَتِنَا الْجَمِيلَةِ؟" صَمَتَتْ عَائِدَةُ وَتَوَرَّدَ خَدَاهَا حَبِيَاءً، وَشَعَرَ الْمُرَبِّي بِمَا إِنْتَابَهَا مِنْ حَرَجٍ فَلَمْ يُبْدِ إِصْرَارًا عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ مِنْهَا وَلَمْ يَسْأَلْ أَنْ يُوَصَلَ السُّؤَالُ إِذْ قَرَّرَ اسْتِدْعَاءَ وَالِدِهَا السَّيِّدِ "عِيَادَ" غَيْرَ أَنَّ الْأَبَّ كَانَ يَجْهَلُ تَمَامًا أَمْرَ الْحَافِظَةِ وَمَا تَحْتَوِيهِ، الَّتِي أَسْرَتْ إِلَيْهِ: يَبْدُو أَنَّ الرِّسَالَةَ الْأَخِيرَةَ الَّتِي تَسَلَّمْنَهَا مِنْذُ أَسَابِيعٍ قَدْ أَثَرَتْ فِيهَا. "وَفِي مَسَاءِ نَفْسِ الْيَوْمِ اطَّلَعَتِ الْعَائِلَةُ عَلَى الرِّسَالَةِ، وَمِنْ الْغَدِ افْتَحَ السَّيِّدُ "جَاكُ" الْحِصَّةَ قَائِلًا: "إِنَّا نَسْتَسْمِحُ الْيَوْمَ عَائِدَةً فِي أَنْ تُطْلِعَكُمْ عَلَى فِقْرَةٍ مِنْ رِسَالَةٍ تَلَقَّيْتَهَا مِنْذُ شَهْرٍ تَقْرِيبًا مِنْ ابْنَةِ عَمِّهَا خَدِيجَةَ". هَا إِنِّي أُهْدِي إِلَيْكَ أَفْضَلَ مَا يُمَكِّنُ أَنْ أَهْدِيهِ. خَرِيطَةٌ صَغِيرَةٌ لِتُونِسَ وَإِنِّي أُعْرِفُ أَنَّكَ سَتُحَافِظِينَ عَلَيْهَا وَأَنَّهَا سَتَكُونُ صَدِيقَتَكَ الَّتِي لَا تَفَارِقُكَ .